الخصائص التى تميز بها الشاهد الشعري عند الزجاج

الباحثة/ شريهان إبراهيم أنس

الحمدُ للهِ رب العالمين القائلِ فى أولِ آيةِ من الكتابِ (اقرأ)، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ الهدى والحق، وعلى آله ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وأشهدُ أن لا إله إلا الله، وحدهُ لا شريك له، وأن محمداً عبدهُ ورسولهُ، خيرَ من اصطفى من خلقه.

وبعد:

لقد استشهد الزجاج بالشعر الجاهلى والإسلامى والأموى، ولم يستشهد بالشعر العباسى إلا قليلاً، فهو ممن يستقرئ لغة الشعر وتوثيقها، والتأكد من صحة نقلها وفصاحتها، فقد اعتمد رواية شيوخه، فنقل عن المبرد، وأبى عبيدة والأخفش وسيبويه وغيرهم، وكل هؤلاء ثقة، فهو يقول مثلاً: وأنشدنا محمد بن يزيد المبرد[1]، ويقول وأنشد سيبويه[2].

وقد ينسب إلى صاحبه (قائل الشعر) كقوله مثلاً: "قال الشاعر وهو يزيد بن الحكم"[3]. وقوله أيضاً: وأنشد النحويون[4].

ويزيد عدد الشواهد الشعرية فى كتاب "معانى القرآن وإعرابه" للزجاج على خمسمائة وستة وتسعين بيتاً، وهى لشعراء جاهليين وإسلاميين وأمويين، فهو لم يستشهد بشعر شعراء من العصر العباسى كما احتج بلغة شعراء ضعَّفهم بعض اللغويين، كذى الرمة[5].

* لم يعتمد الزجاج العصر ولا البداوة، معياراً لقبول من يحتج بشعره، فاحتج بشعر ذى الرمة مع أن الأصمعى كان يلحنه فى أشياء من شعره، وهو القائل فيه: "ذو الرمة طالما أكل المالح والبقل، فى حوانيت البقالين".

* لم يكن الزجاج بصرياً أو كوفياً فى استشهاداته، إن كان أميل إلى الرأى البصرى، فمن شواهده ما يؤيد رأى الكوفيين تارة.

* كثرة الشواهد الشعرية فى النحو والصرف والدلالة والقراءات فى كتابه "معانى القرآن وإعرابه" يدل على أن الزجاج معتاد على السماع الشعرى.

* أن اللاحقين للزجاج قد استفادوا من هذه الشواهد خاصة ومن كتابه عامة، وكان ممن تلقاه عنه من تلاميذه أبو على الفارسى، وأيضاً الزمخشرى فى كتابه "الكشاف" اعتمد على الزجاج فى دراسته اللغوية، وفى بعض الأحيان ينقل من الزجاج نقلاً كاملاً فيختصر الشرح اللغوى، وهذا ظاهر فى إعرابه فواتح السور، ومن المفسرين المتأخرين الذين اعتمدوا عليه البغوى ومحمد بن الخازن، أيضاً النحاس وابن الراوندى درسوا الكتاب واستفادوا منه وهو أثر آخر للزجاج فى ثقافة المصريين.

*كثيراً ما يعتمد الزجاج على كتاب سيبويه فى درسه النحوى، فهو يقول فى مواضع كثيرة: وأنشد سيبويه، وهذا يدل على إطلاعه على كتاب سيبويه .

**موقف الزجاج من الاحتجاج بالقراءات المتواترة:-

فالأصل القرآنى هو الأصل الأصيل عند الزجاج، إذ إنه يقدمه على أى نص آخر، فهو يقدم القراءة الثابتة، ويستند عليها، قال: "أما القرآن فلا يُقرأ فيه إلا بما قد قرأت القراء به، وثبتت به الرواية الصحيحة"[6].

والقراءة عنده سنة، لا يمكن مخالفتها، قال عند قوله تعالى: ﴿**صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ**﴾[7]، "ويجوز صراطُ الله بالرفع، وصراطَ الله بالنصب، ولا أعلم أحداً قرأ بهما، ولا بواحدة منهما، فلا تقرأن بواحدة منهما؛ لأن القراءة سنة لا تخالف، وإن كان ما يُقرأ به جائز فى النحو"[8].

وإن من شروط القراءة المقبولة عند الزجاج وشروطها عند القراء هى هى، فلابد من صحة السند، وموافقة رسم المصحف المجمع عليه، وموافقة القراءة وجهاً من وجوه العربية، فأجده مثلاً قال: "والقراءة على "هُنْ" أعجب إلىَ؛ لأنها موافقة للمصحف، وما وافق المصحف، وصح معناه، وقرأ به القراء فهو المختار"..[9].

وقد أكد الزجاج على أن القراءة سنة متبعة، لا ينبغى مخالفتها فى كثير من نصوص كتابة[10]، قال: "فأما القرآن فلا يُقرأ فيه "الحمد" إلا بالرفع، لأن السنة تتبع فى القرآن ولا يلتفت فيه إلى غير الرواية الصحيحة التى قد قرأ بها القراء المشهورون بالظبط والثقة"[11]، والزجاج

يرفض رد القراءة السبعية المتواترة، فقد عاب على المازنى ردّه لقراءة ﴿فبم تبشرون﴾ [12]، قال "فالإقدام على رد هذه القراءة غلط؛ لأن نافعاً قرأ بها"[13]، كما أنه منع القراءة بغير القراءة المتواترة الثابتة[14].

وبالنسبة لموقف الزجاج من القراءات الشاذة فنلاحظ إنه ينفر من القراءات الشاذة، فهو يشترط فى القراءة المقبولة الرواية الصحيحة عن القراء المشهورين بالضبط والثقة، مع شرط الإجماع والتواتر، كما إنه يرد على ما خالف رسم المصحف، فهو شرط رئيسى لقبول القراءة عنده، فعند قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ**﴾[15]، على قراءة أبى عمرو بن العلاء، ردّ هذه القراءة لمخالفتها رسم المصحف[16].

****موقف الزجاج من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف:-**

لم يكن الحديث مدوناً فى ذلك العصر، ولهذا سار النحاة المتقدِّمون على عدم الاحتجاج بالحديث الشريف، أو الاعتماد عليه، فالزجاج سار فى دربهم فلم يحتج بالحديث الشريف فى المسائل النحوية.

****موقف الزجاج من الاحتجاج بالشعر:**

نجد أن الزجاج أكثر من الشواهد الشعرية، ولا سيما فيما يختص باللغة، أمّا شواهد النحو فهى أقل من ذلك، لكن عنايته بالشعر تظهر من خلال عنايته بالرواية، ومعرفة القائل، فهو ينفر من الشاذ، ولا يقبل المجهول، ويكتفى بالنقل من الموثوق بهم كالخليل، وسيبويه، وشيخه المبرد، فالزجاج يقلل من شأن الشاهد المجهول، فيقول: "وهذا شعر لا يُعرف قائله، ولا هو بشئ"[17]، فالزجاج لا يورد الشاهد الشعرى إلا عند الحاجة إليه، فهو يكتفى بالقياس غالباً، والنحو كله قياس، فالزجاج يعتمد فى كثير من المسائل على علماء البصرة القدامى كالخليل وسيبويه، كما ينقل عن شيخه المبرد.

فالزجاج لا يقبل الشعر مجهول القائل لعل فعله ذلك خوفاً أن يكون ذلك الشعر لمولد أو لمن لا يوثق بفصاحته ولذلك فهو دائماً ما يكرر على نقله من الثقات "كالخليل وسيبويه وجميع النحويين الموثوق بهم"[18] ، وهذا لايمنع إنه استشهد في مسألة وضع المفرد موضع الجمع.

استشهد بقول الشاعر مجهول النسب :-

كُلُوا فى نِصْفِ بَطْنِكُم تَعِفُّوا فَإِنَّ زَمَانَكُم زَمَنٌ خَمِيصُ[19].

البيت من البحر الوافر ولم ينسبه الزجاج لأحد.

موضع الشاهد فيه:

استشهد الزجاج بهذا الشاهد على وضع المفرد موضع الجمع فالمعنى فى الشاهد : كلوا فى بعض بطونكم، وعلى هذا ذكر الزجاج قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنهر**﴾[20]، والمعنى فى جنات وأنهار والاسم الواحد يدل على الجميع[21].

والذى وافق الزجاج فى وضع المفرد موضع الجمع المبرد الذى قال فى كتابه المقتضب "وقد جاز فى الشعر أن تفرد وأنت تريد الجماعة إذا كان فى الكلام دليل على الجمع"[22]، ومثل على ذلك بالشاهد .

****موقف الزجاج من الأقوال المأثورة عن العرب:**

نجد الزجاج اهتم بأقوال العرب، وأمثالهم يتجلى فى مسائل اللغة أكثر من مسائل النحو ومع ذلك فإنه ينكر بعض تلك الأقوال التى نُقلت عن الثقات، وأوثق الثقات عنده الخليل، وسيبويه.

****موقف الزجاج من الاحتجاج بالإجماع:**

موقفه كان صادقاً دقيقاً، فالبصريون مثلاً يستقبحون عطف الظاهر على المضمر المخفوض من غير إعادة الخافض، ولا يجيزونه، والكوفيون يستقبحون ذلك، ويجيزونه، ولذلك نجد الزجاج قال "فإجماع النحويين أنَّه يقبح"[23].

فى مسألة أخرى "مسألة الميم من "اللهم" هل هى عوض أم بقية من جملة محذوفة، فقد ذكر بعض الكوفيين أن الميم بقية من جملة محذوفة محتجاً بأنَّه يُجمع بين الميم وحرف النداء ولو كانت الميم عوضاً لم تجمع مع المعوض، وردَّه الزجاج بأنّ الإجماع، على أنَّه لا يُجمع بين

الميم وحرف النداء فقال "وليس يعارض الإجماع، وما أتى به كتاب الله تعالى، ووُجد فى جميع ديوان العرب بقول قائل أنشد فى بعضهم، وليس ذلك البعض بمعروف، ولا بمسمى[24].

وهكذا نلاحظ عدالة ودقة الزجاج فالإجماع فهو لا ينحاز لمذهب معين كوفى أو بصرى.

موقف الزجاج من القياس:

فرأيه يوافق القياس كاحتجاجه على أن "لات"[25] ترفع الاسم، وتنصب الخبر قياساً على "ليس" إذ كان معناها كمعناها، وساعده فى ذلك ثقافته النحوية الواسعة وعقليته الفذة، وذكاءه الحاد القوىّ، فالقياس لديه وافق كثيراً ما عليه الخليل وسيبويه والجمهور".

ومماسبق ذكره بمثابة المجمل العام لخصائص الشاهد الشعري في كتاب"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ، قبل الدخول في ذكر الخصائص التفصيلية للشاهد عامة والشاهد الشعري خاصة لابد من عرض الجداول التفصيلية والرسوم البيانية ثم الشرح التفصيلي لذلك العرض

***إحصائية الشواهد في كتاب "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج.

نوع الشاهد	الشاهدالشعري	الشاهدالقرآني	الشاهدالنبوي	الأقوال المأثورة	الإجمالي
عدد الشواهد	620	303	3	9	935
النسبة المئوية	%66.3	%32.4	%.3	%.9	

فخصائص الشاهد بصفة عامة علي مستوي كتاب"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ، استشهاده بالشعر أكثر من استشهاده بالقرآن الكريم فنسبة استشهاده بالشواهد الشعرية تمثل 66.3% من مجمل شواهده التي استشهد بها في كتابه "معاني القرآن وإعرابه"، ونسبة استشهاده بالشواهد القرآنية تمثل 32.4%، ونسبة استشهاده بالأحاديث النبوية تمثل أقل نسبة عند الزجاج حيث إنها

تمثل 3.%، ونسبة استشهاده بالأقوال المأثورة تمثل 9.%، فالشاهد الشعري موجود بكثرة في كل المسائل النحوية واللغوية والدلالية والصرفية والتفسير والقراءات .

***إحصائية الشواهد الشعرية علي مستوى كتاب "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج.

المسألة	نحوية	لغوية	دلالية	صرفية	قراءات	تفسير	الإجمالي
عددالشواهد	92	238	140	20	58	74	620
النسبة المئوية	%14.5	%38.4	%22.6	%3.2	%9.3	%11.9	

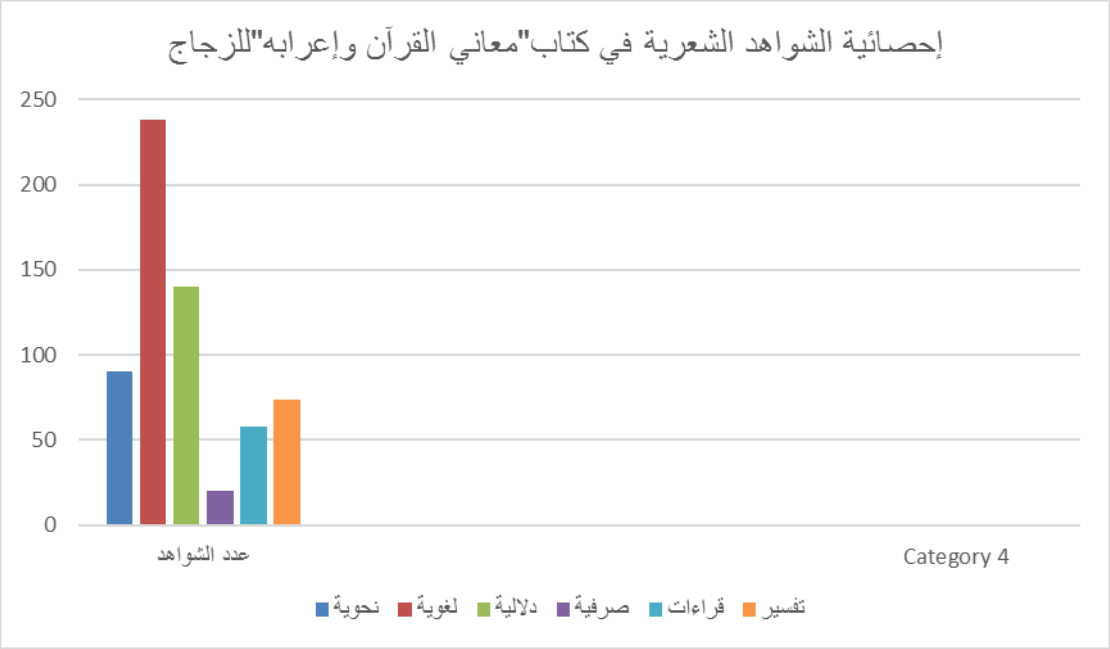

فالجدول يوضح أن الزجاج استشهد بالشواهد الشعرية فالمسائل اللغوية والدلالية أكثر من استشهاده فالمسائل النحوية حيث إن نسبة المسائل اللغوية والدلالية تمثل 61% ، والمسائل النحوية 14.5% ، واستدل بالشواهد الشعرية في مسائل التفسير بنسبة 11.9% ، وفي مسائل القراءات بنسبة 9.3% ، والمسائل الصرفية تمثل أقل نسبة في استشهادات الزجاج الشعرية حيث إنها تمثل 3.2% .

***إحصائية الشواهد الشعرية النحوية في كتاب "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج.

الأبواب	المبنيات	المبنيات	المبنيات	المعربات	المعربات	المعربات	المعربات	الإجمالي
التبويب	الحروف	الأسماء	الأفعال	المرفوعات	المنصوبات	المجرورات	الفعل المعرب	
عدد الشواهد	8	6	3	9	33	13	20	92
النسبة المئوية	%8.9	%6.7	%3.3	%10	%34.4	%14.4	22.2%	

خصائص الشواهد الشعرية النحوية عند الزجاج حيث إن استشهاده في المنصوبات تمثل أعلي نسبة 34.4% وتمثل شواهد الأفعال المبنية أقل نسبة تمثل 3.3% .

***إحصائية الشواهد الشعرية النحوية من حيث تصنيف البحورالعروضية

اسم البحر	الطويل	الوافر	الرجز	الكامل	البسيط	الخفيف	المنسرح	المتقارب	الرمل	السريع
عدد الشواهد	31	18	16	13	6	3	2	1	1	1

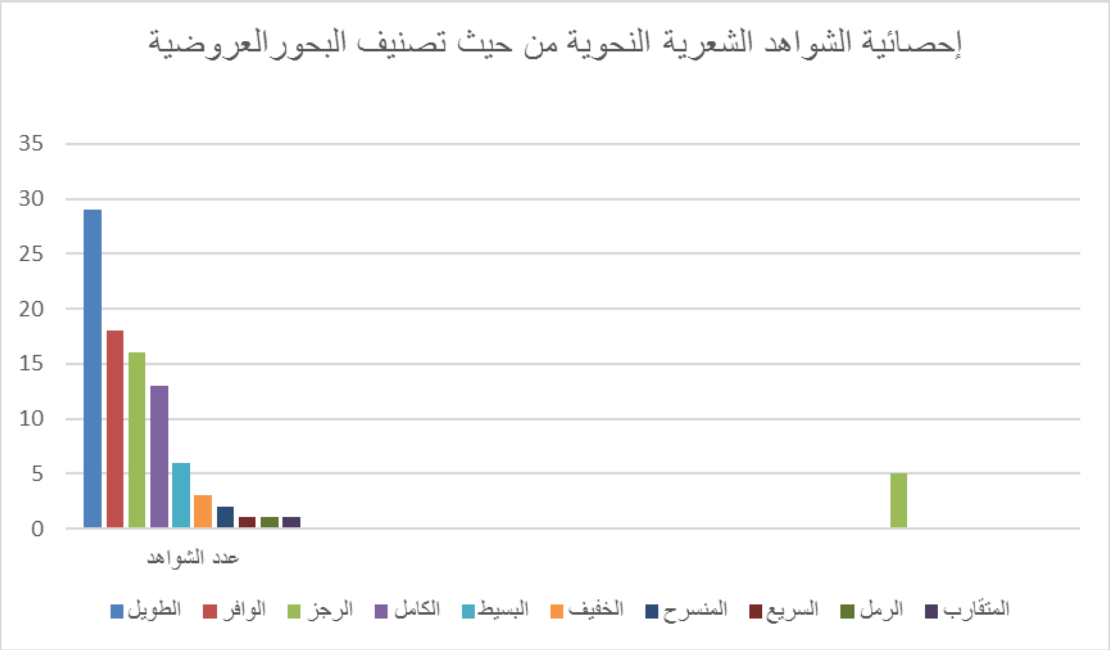

لقد أكثر الزجاج فاستشهاده بالشواهد الشعرية النحوية من البحر الطويل حيث إنها تمثل نسبة 32.2% ، واستشهاداته فالبحر الرمل والمتقارب والسريع تمثل نسبة واحدة .

أما بالنسبة لاستشهاداته الشعرية النحوية مجهولة النسب تمثل نسبة 23.3% ، حيث إن الزجاج جاء بعدد 21 شاهد شعري نحوي مجهول النسب والآتي ذكره بعض النماذج للشواهد الشعرية النحوية مجهول النسب.

بعد دراسة الشواهد الشعرية دراسة نحوية فى "معانى القرآن وإعرابه" للزجاج يتضح لنا أهم النتائج:-

* لم يعتمد الزجاج العصر ولا البداوة، معياراً لقبول من يحتج بشعره، فاحتج بشعر ذى الرمة مع أن الأصمعى كان يلحنه فى أشياء من شعره، وهو القائل فيه: "ذو الرمة طالما أكل المالح والبقل، فى حوانيت البقالين".

* لم يكن الزجاج بصرياً أو كوفياً فى استشهاداته، إن كان أميل إلى الرأى البصرى، فمن شواهده ما يؤيد رأى الكوفيين تارة.

* كثرة الشواهد الشعرية فى النحو والصرف والدلالة والقراءات فى كتابه "معانى القرآن وإعرابه" يدل على أن الزجاج معتاد على السماع الشعرى.

* أن اللاحقين للزجاج قد استفادوا من هذه الشواهد خاصة ومن كتابه عامة، وكان ممن تلقاه عنه من تلاميذه أبو على الفارسى، وأيضاً الزمخشرى فى كتابه "الكشاف" اعتمد على الزجاج فى دراسته اللغوية، وفى بعض الأحيان ينقل من الزجاج نقلاً كاملاً فيختصر الشرح اللغوى، وهذا ظاهر فى إعرابه فواتح السور، ومن المفسرين المتأخرين الذين اعتمدوا عليه البغوى ومحمد بن الخازن، أيضاً النحاس وابن الراوندى درسوا الكتاب واستفادوا منه وهو أثر آخر للزجاج فى ثقافة المصريين.

* احتج الزجاج بالقراءات المتواترة وحدها، ونفوره من القراءات الشاذة.

* الزجاج لا يحتج كثيراً بالشعر إلا إذا دعت الحاجة إليه، وإلا فيكتفى بالقياس.

* الزجاج ينفر من الشعر المجهول، ويرده.

* الزجاج قلما احتج بأقوال العرب فى مسائل النحو خاصة، واهتم بما ورد عن سيبويه والخليل منها.

* اعتنى الزجاج بالسماع المطرد الكثير فى القراءات، وفى شواهد الشعر، وأقوال العرب.

---

(1) "معانى القرآن وإعرابه"، للزجاج، ج 2، ص 43.

(2) المصدر نفسه، للزجاج، ج 1، ص 52.

(3) المصدر نفسه، للزجاج، ج 1، ص 61.

(4) المصدر نفسه، للزجاج، ج 1، ص 65.

(5) المصدر نفسه، للزجاج، ج 4، ص 115.

(6) "معانى القرآن وإعرابه"، للزجاج، 1/ 336.

(7) سورة الشورى، آية (53).

(8) "معانى القرآن"، للزجاج، 4/ 404.

(9) "معانى القرآن"، للزجاج، 1/ 376.

(10) "معانى القرآن وإعرابه"، للزجاج، 1/ 45، 126، 127.

(11) "معانى القرآن وإعرابه"، للزجاج، 1/ 45.

(12) "سورة الحجر، آية (54).

(13) "معانى القرآن"، للزجاج، 1/ 216.

(14) "معانى القرآن"، للزجاج، 1/ 313.

(15) سورة طه، آية (63).

(16) "معانى القرآن الكريم"، للزجاج، 3/ 362.

(17) "معانى القرآن وإعرابه"، للزجاج، 2/ 365.

(18) "معانى القرآن وإعرابه"، للزجاج، 1/ 364.

(19) تخريج الشاهد/ من شواهد سيبويه 1/ 108، وانظر: معاني القرآن 2/ 102، والمقتضب 2/ 172، والخزانة 3/ 379.

(20) سورة القمر، آية (54).

(21) "معانى القرآن وإعرابه"، للزجاج، ج 5، ص 93، وفى ج 2، ص 74.

(22) "المقتضب"، للمبرد، ج 2، ص 171- 172.

(23) "معانى القرآن وإعرابه"، للزجاج، 1/ 394.

(24) "معانى القرآن وإعرابه"، للزجاج، 1/ 394.

(25) "معانى القرآن وإعرابه"، للزجاج، 4/ 320.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

* " خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب"، لعبد القادر بن عمر البغدادى، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجى، القاهرة، 1997م.

* "الخصائص"، لأبى الفتح عثمان بن جنى الموصلى، الطبعة الرابعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

معانى القرآن وإعرابه"، لأبى إسحاق إبراهيم بن السرى الزجاج، تحقيق الدكتور: عبد الجليل عبده شلبى، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، 1988م.

* "معانى القرآن"، لأبى زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتى، محمد على النجار، عبد الفتاح الشلبى، الطبعة الأولى، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.

* "المفصل فى صنعة الإعراب"، لأبى القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشرى، تحقيق: د. على بو ملحم، الطبعة الأولى، مكتبة الهلال، بيروت، 1993م.

* "المقتضب"، لمحمد بن يزيد المعروف بالمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت.